القصة الإماراتية القصيرة قراءة في رومانسيتها وشعريتها

أ.د. أحمد مقبل محمد المنصوري

توطئة:

على الرغم مما حظيت به القصة الخليجية عموما، والقصة الإماراتية خصوصًا من بعض دراسات مهمة إلا أنّ ما تنطوي عليه من فيض إبداعي متميز لهو يفوق – بكثير- ما حظيت به من تلك الدراسات ، وما تزال أقلام المبدعين الخليجيين والمبدعات في كتابة القصة - ومنها القصة القصيرة- في انهمارٍ غزيرٍ مما يجعل جهد النقاد مضاعفًا ومطلوبًا - في الوقت ذاته- للكشف عن طرائق القاصين، وملامح تميزهم وإبداعهم، وما ينطوى عليه عالمهم السردي من أسرارٍ وخفايا.

ولقد كان من حسن حظ هذه الدراسة المتواضعة أن تقف أمام قضية لاحظتها من خلال قراءاتي المتواضعة لأنموذجات من القصة الإماراتية القصيرة ؛ هي ما تنطوي عليه من رومانسية حالمة عذبة ، وما يتخلل تلك الرومانسية من شعرية للغة؛ فرأيت من المناسب إظهار هذا الملمح في هذه الدراسة لنرى قبسًا من نور، وقطرة من بحر ذلك الإبداع القصصي الإماراتي الممتع الشائق المثير !!

ومنهجي هنا حاول أن يتتبع النص من نتاجات إماراتية في القصة القصيرة ،وهي متنوعة، ويأتي تتبع تلك النصوص من أجل تلمس رومانسيتها ، وهذا يخضع للتحليل النصي الوصفي ، ثم علاقة النص بما يحيط به ، ثم تتبع شعريتها في الوقت ذاته ، مستعينًا بملامح للأسلوبية في تتبع شعرية اللغة المنبعثة من تشكيلات العبارة ، وجمالياتها الفنية المتخيّلة المؤثرة.

وقد سارت الدراسة في تمهيد عام للمصطلحات وتعريف مفهومها ، وعلاقة ذلك بدراستنا، ثم محاور البحث التي سارت حول:

البحر والحلم – الواقع والحلم – رفض الواقع والهروب من الواقع – العلاقات ورومانسيتها(الحب وطقوسه).ثم رصد خاتمة بالنتائج ، ورصد المصادر والمراجع.

آملًا أن تكون دراستي هذه إسهامًا متواضعًا في خدمة قضايا فن القصة القصيرة في الإمارات، وفتحًا لدراسات لاحقة

تمهيد عام في المصطلح والدلالة:

أ. في المفهوم(الرومانسية – الشعرية):

الرومانسية بمفهومها العام تعني الميل إلى الحلم ، والسبح في فلك الخيال ،والعزلة والبعد عن الناس ، والرغبة في ترك الواقع الكئيب، واتخاذ الطبيعة والحلم عالما بديلًا عن ذلك الواقع، ولاسلطان على الرومانسيين سوى سلطان الذات والمشاعر والأحاسيس (والرومانتيكي لاستسلامه لمشاعره وعاطفته يحس بجمال الطبيعة ، ويهيم بها ويصف مناظرها ،وخصائص كل منظر فيها ، ويحب العزلة بين أحضانها)(١) على عكس الكلاسيكية التي سبقتها تأريخيا ؛ إذ هي أدب محافظة وقيود وتقليد خارج عن الذات لا أدب عاطفة ووجدان كالرومانسية ؛ فـ (الأدب الرومانتيكي أدب العاطفة يكثر فيه الشعر الوجداني ، والإفضاء بذات النفس في قوة تبين عن طابع الفرد ، وتعبر عن آلامه وآماله ، فهو أدب ذاتي مشبوب)(٢)

وأما الصلة بين الرومانسيّ وعصره فهي غالبًا علاقة صراع وسخط وغضب ، وينعكس ذلك على أدبه الذي به ينشد المثال(٣) ، وتتجلى ذاتية الأدباء الرومانسيين مع واقعهم في (عدم الرضا بالحياة في عصرهم ، وفي القلق أمام عالمهم وما يعج به من أحداث ، وفي الحزن الغالب على أنفسهم في كل حال)(٤)

ونجد الرومانسي حين يضيق ذرعًا بالواقع وعالم الحقيقة فإنه يُطلق (لنفسه العنان في أحلامٍ يعوض بها ما

فقده في عالم الناس من حوله ، ووجد في هذا الانطلاق إشباعا لآماله غير المحدودة ، فصار عالم خياله أحب إليه من عالم الحقيقة المحدود) (٥)

ولقد نجد الرومانسيين فريقين (ومن الرومانتيكيين متفائلون ومنهم متشائمون ، ويدفع الخيال بكلا الفريقين إلى سلوك طرق متباينة ، ولكن يجمع بينها أنّ فيها جميعا هروبًا من الواقع) (٦)

وأما الحب عند الرومانسيين فلم يعد عاطفةً جارفةً من عواطف القلب ، ولا هوىً من الأهواء ، وإنما صار فضيلةً من الفضائل ، وكل حب صادق يرونه طاهرًا عفيفًا ويزعمون أن المحبين سيلتقيان أمام الله بعد أن فرقهم المجتمع(٧) وبما يتشابه مع الحب العذري الذي عرفته البوادي العربية في العصر الأموي خاصة.

وأما عشق الطبيعة والارتماء في أحضانها وترك المدنية فهي طابع الرومانسيين (ذلك أن مبادئهم حب الخلوة واعتزال الناس ؛ لأن المجتمعات مباءة ومثارٌ للمشكلات وعبءٌ على ذوي النفوس الرقيقة الشعور) (٨)

وأما الليل فموطن أسرارهم ،وأمواج البحار المترامية والعواصف والطيور والأطلال المهجورة ومنظر السماء والطير وكل ما يتصل بالطبيعة البكر فمما كان أثيرًا في نفوسهم(٩) .

ولعل تتبعي للنصوص القصصية الإماراتية القصيرة التي أوردتها في هذه السطور- فيما سيأتي- كفيل بما أوردته كشاهد على تجلي ملامح للرومانسية وبما يتفق مع فحوى المعطيات السالفة مع الإشارة إلى أن مفهوم الرومانسية قد يتسع أكثر وأكثر ، ولعل من ملامح اتساعه ما يجعلنا نسارع- في حياتنا المعاصرة- في استشعار أن كل من يسلك مسلك التأنق في المأكل والمشرب والملبس والمسكن وفي علاقاته السامية والراقية مع الناس بعيدا عن كل ما ينغص الحياة أو يكدرها إنما هو أقرب إلى الرومانسية منه إلى أى منحى آخر كالكلاسيكية – مثلًا- التي ينضوي تحتها نهج آخر لسلوك الناس حين نراهم مثلا مقلدين ومحافظين للقدوة في الملبس والهيئة وسوى ذلك مما ذكرت.

وأما الجزء الثاني من العنوان الفرعي الخاص بـ(الشعرية) فلا بد من إيضاحها مفهومًا ودلالة ، ولعل أبسط مفاهيمها أنها مجموعة القواعد التي تجعل من عمل ما فنًا مؤثرًا ، وهذا يعني أنها ليست مقتصرة على فن الشعر وحسب، وإن كانت أكثر لصوقًا به ، ولكن بإمكان الفنون الأخرى - ومنها القصة - أن تستعير هذا الملمح من الشعر ، ويصبح جزءًا منها ويؤدي فيها من الجمال مايؤديه في الشعر (يمكن للشعرية أن تُعرف بوصفها الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عمومًا ، وفي الشعر على وجه الخصوص) (١٠) أو بعبارة أوضح يمكن أن تعرف بوصفها (ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة ، وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع للكلمة بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة ، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية) (١١)

ولا غرابة على النقاد والدارسين اليوم ، وقد أقرّ أكثرهم بفحوى ذلك، أن الفنون يمكن لها أن تتبادل فيما بينها - وبلا غضاضة - بعض خصائصها ؛ فالشعر – مثلا – يستعير وسائل السرد ، وتبدو القصيدة ذات سردٍ متتابع يحكي أحداثا ومواقف مع ما يكتنهها من شعرية ، والقصة قد تستعير وسائل الشعر فإذا هي تعج بالسحر والتأثير كالقصيدة مع احتفاظها بسرديتها.

وبالنسبة إلى الشعرية – قواعد الشعر وخصائصه - فإنها تصبح – تحت ظرف الإعارة والاستعارة- مشتركة بين الفنون ، فتستعيرها وتتبادلها مع الشعر ؛ فالقصة القصيرة والطويلة وكذا المسرحية والمقالة والسيرة الذاتية يمكن لها – وهي تبني عوالمها – أن تحلق في فضاء من الشاعرية تبعث معها في نفس المتلقي قدرًا من التأثر ، ولكن لا بد من الدربة والمراس في تلمس كل ذلك دونما الخلط بين حواجز هذه الفنون، وعلى هذا رؤية كثيرين (أما نحن وكثير من متذوقي الفن فنعتقد بضرورة تآلف الأنواع الفنية وتكاملها، ولابد لنا من دربة للوصول إليها على نحو تتفاعل فيه وتغنينا) (١٢)

ولعل المتتبع المتأني لشعرية اللغة في فنونٍ غير الشعر سيجد تجليًا لملامح

شعر تنبعث من زوايا الوصف أو الحوار الداخلي والخارجي أو الذكريات، أومن خلال وصف النظرة إلى الطبيعة ببحرها وسمائها ونجومها، أو السبح في آفاق الخيال البعيد ، وذلك معًا هو ميدان رومانسية القص وشعريته ، وذلك جوهر إطلالتنا في هذه الدراسة.

تجدر الإشارة هنا إلى وضع ما يشبه التحرز من ميدان الرومانسية والشعرية الأول هو الشعر ، ويأتي في القصة القصيرة – موضع الدراسة – في مرتبة تالية لوظائف أخرى، مما يجعل مهمة البحث شاقة ؛ لأنها تود تتبّع ملامح ليست بارزة للعيان ، وإنما تكون في الغالب مختبئة خلف ظلال السرد وعوالم الخيال مما يضاعف الجهد في التقاط تلك اللوامع أو الخواطف من هنا ومن هنا كفي مجمل القصص القصيرة. وأحسب أن ذلك هو جهد دقيق يجد الباحث لذته حين يصل إليه بعد التأمل ، وذلك كان غاية هذه الدراسة ومبتغاها.

ب- في فن القصة الإماراتية القصيرة:

أما الجزء الآخر من العنوان، ومن الدراسة أيضًا، فهو القصة الإماراتية القصيرة ، وهذا يعني أن حيّز الدراسة محصور بالقصة القصيرة في الإمارات ، ولابد من إعطاء لمحة عنها ، وإن كان ذلك من باب الإشارات فقط ؛لأن دراسات أخرى قد أعطت الموضوع حقه من الدراسة بالتعريف بالقصة القصيرة في الإمارات واتجاهاتها وأبرز مبدعيها ، وهو ما سنجده مرافقا لاستشهادنا بها في هذه التقدمة حين نؤشر أمثلة لتلك الجهود في المتن والهامش!!

تأريخيًا يكون ميلاد القصة الإماراتية في سبعينيات القرن الماضي(١٣) ، حين ظهر النفط ، وبدأت عوالم من الرفه والمدنية الراقية تتجلى في البيئة الإماراتية والإنسان الإماراتي بشكل عام ، ومن المدهش أن التطور الحضاري الذي شهدته الإمارات على مستوى البنية الاقتصادية والمعمارية - وهو ما قد يكون سببًا أحيانًا في ميل الإنسان إلى الفكر المادي الصارم أو الخلود إلى الراحة والاسترخاء – أن ذلك رافقه نبوغ إبداعي متطور على مستوى أقلام المبدعين الإماراتيين والمبدعات الإماراتيات ليشكلوا بأقلامهم المبدعة سطورًا من ذهب تشعّ بالإبداع كما تشع الحياة المعاصرة المتطورة بزخم الأضواء وسحرها !!

ولأننا هنا معنيون بنمط واحد من أنماط الإبداع وهو القصة القصيرة فلاشك أن الحديث سيكون مقصورًا عليها ، ولذلك فلقد برزت إلى النور كثير من الأقلام الإماراتية في مجال القصة القصيرة وقد كان – وما يزال- لها الدور الأسمى في إبداع هذا الفن ومنحه صفته من الاستواء والنضج ؛ ويكفي أن نضرب مثلًا ممن صارت أسماؤهم معالم في نشأة هذا الفن وتطوره ، يستوي في ذلك من بدأ مؤسسًا لهذا الفن، أو من سار به نحو النضج والكمال من مثل: عبد الله صقر أحمد ، عبد الحميد أحمد ، محمد المر ، مريم جمعة ،محمد حسن الحربي، سلمى مطر سيف، ناصر جبران ، ناصر الظاهري، إبراهيم مبارك ،سعاد العريمي ، علي عبد العزيز الشرهان ،عبد الرضا السجواني ،علي أبو الريش، ظبية خميس، شيخة الناخي ، أسماء الزرعوني ، ليلى أحمد ، فاطمة محمد ،حارب الظاهري ،علي عبيد ، مظفر الحاج ، عبد العزيز خليل ، سارة الجروان ، سارة النواف ، ابتسام المعلا ، مريم الساعدي ، نجيبة الرفاعي، روضة البلوشي ، ليلى سالم .....الخ من الأسماء التي أخلصت لهذا الفن وأصبحت مرتبطة به (١٤)

الجدير بالذكر أن القصة القصيرة في الإمارات وعلى يد مبدعيها ومبدعاتها قد اتسعت عوالمها لتشمل كل الاتجاهات والقضايا سواء أكانت أسرية أم مدنية أم سياسية أم ذاتية(١٥) ولكن ما يهمنا هنا هو المضي مع ملامح من رومانسيتها وشاعرية تلك الرومانسية وبحسب تفريعات الموضوع بحسب ما سيأتي.وعلى الرغم من الأقلام المبدعة لهذا الفن قد تأخرت قليلا في الظهور إذا ما قورنت بأقلام القصة القصيرة في بعض بلدان وطننا العربي كمصر والشام والعراق مثلا لا حصرا فإن ذلك التأخر لم يُثنها عن أن تواكب ذلك التألق وذلك الاقتدار في طرح أنموذجات قصصية يشار إليها بالبنان وتستوي لتنافس قصصا في تلك البلدان. و لربما يكون في استشهادنا الذي يرافق النقاط الآتية مؤشر لتأكيد ذلك.

الموضوع: (القصة الإماراتية القصيرة قراءة في رومانسيتها وشعريتها):

لأمرٍ ما فإن ملامح للرومانسية تنبعث من قصص مبدعي الإمارات ومبدعاتها مع شعرية تتسلل تلك الأجواء الرومانسية المحلّقة ؛ ويبدو لي أن الأمر يعود بالدرجة الأولى إلى البيئة وما تشكله من رافد في خلق هذه الروح المحلقة بعيدًا ؛ ذلك أن البحر باتساعه وتراتيل النوارس على شاطئه وما يبعثه جو البحر وصمته الرهيب في النفس من الهواجس والأحلام والمخاوف حين تتداح أموجه ، والخيال المرافق لمن يهرب إليه من الحياة والتحليق في السماء الممتد بأفقه عليه كل ذلك كان رافدًا دفقًا ملأ روح مبدعي الإمارات، وظلت ملامحه كامنةً في تلك الروح ، وبارزةً بشكل أو بآخر في جملة من نصوصهم القصصية ؛ ثم إن – وهذا افتراض آخر يضاف إلى الأول – التطور المادي الحضاري الذي شمل البيئة الإماراتية أكثر من سواها والاختلاط بالآخر كل ذلك لم يمنع الروح الإماراتية أن تحلق بعيدا عن كل ذلك إلى أجواء من عبق الخيال والطبيعة والإنصات إلى الروح وذلك جوهر الرومانسية المتعمقة في النفوس الشفافة السامية.

ولقد حاولتُ قراءتي المتواضعة في هذا الشأن أن تقف أمام ما تهيأ لها من أنموذجات قصصية أمام هذا الملمح والكشف عنه وبحسب الآتي:

البحر والحلم :

يشكل البحر ملمحًا مهمًا في الوجدان الرومانسي ؛ إذ هو الملاذ والملجأ الذي ينصرفون إليه حالما تشتد بهم مساوئ الواقع ومساوئ أبناء الواقع ، وهناك يتنسفون الصعداء فيشكون للبحر آلامهم وأحزانهم وتتجاوب مشاعر الحنين في نفوسهم مع التوق إلى الانعتاق من الواقع والسبح في عوالم أخرى مع هدير الموج وحمرة الشفق حين الغروب .

ولربما مع الهدوء والسكينة واتساع مرأى البحر كل ذلك يهيئ لهم السبح في عوالم من الخيال بديعة وممتعة .

والحق أن الإنسان الإماراتي عمومًا هو ابن البيئة البحرية لأنه- أي البحر- يشكل جزءًا من جغرافيته ، ولكنه تعامل معه روحيًا فبدا في القصص الإماراتية القصيرة ملمحًا له حضوره الدال على رومانسية محلقة تتخذ من البحر منفذًا مهمًا للبوح بما في النفس ، أو لاتخاذه عالمًا بديلًا من البَّر ، أو مهيئًا لاستدعاء الذكريات البعيدة والتخفيف من حدة الآلام ، أو بوصفه رمزا للطبيعة كلها ، وهو يتعامل معه فنيًا بالطريقة التي يتعامل فيها معه الرومانسيون الحالمون عموما.

ولقد نلحظ أنهم يبدعون في تلمس شاعرية البحر ومنظر الغروب ، في أوصاف تنمّ عن روح رومانسية حالمة ؛ نجد القاص علي عبيد الهاملي في مقدمة قصة له بعنوان (ضحية الطمع)(١٦) متخذًا من البحر مدخلًا لنسج الأحلام والسبح في أفلاكها ، وبما تمليه عليه تجربة قاسية يكون غلاء المهمور ، وطمع أولياء الأمور هو السبب في نظره في نهاية مأساوية لفتاة القصة التي كانت أجمل النساء لكنها شاخت وراح خطّابها ، ووجدها آخر الأمر –بوصفه أحد شخصيات القص الداخلية – تتسول وقد ذبل عمرها وجمالها !! ولكن ما يهمنا هنا هو المشهد الافتتاحي للقصة الدال على نظرة القاص الإماراتي إلى البحر ، والتفاعل معه ليس بوصفه مساحةً جغرافيةً محسوسةً وحسب، ولكن بوصفه ملاذًا للروح ومتنفسًا للخيال والبوح ؛ نجده يسرد (كان من عادتي أن أخرج كل يوم إلى الشاطئ قبل الغروب لأستمتع بمنظر الأمواج الصغيرة ، وهي تتكسّر على حافة اليابسة وتداعب رمالها الصفراء ، والشمس تلقي بخيوطها الذهبية لتنعكس على صفحة الماء الصافية الرقراقة ، والسماء تلقي بوشاح أزرق على المنظر فتتجلى الطبيعة في أبهى حللها فتمتلئ النفس بشعور جامح بالسعادة والغبطة ، وهناك أنسى كل الهموم والمتاعب التي واجهتني طيلة ذلك اليوم ، وكان يطيب لي أن أسبح في عالم الخيال ، وأنسى كل شيء عن حاضري لأرجع بذاكرتي إلى الماضي أخوض غماره وأستعرض حوادثه التي مضى عليها أمدٌ بعيد)

فالبحر يتسع هنا ليصبح منظرًا رومانسيًا يستلذ القاص عبر شخوصه وهو مشارك فيها بل بطلها بالاستمتاع بمنظره وقد تدفقت أمواجه وقت الغروب حين ترسل الشمس أشعتها الذهبية على صفحة الماء المشعة الرقراقة ، والسماء تتشح بلونها الأزرق ،وتبدو الطبيعة ساحرة وتبرز في نفس

البطل مشاعر من البهجة والفرحة والخيال ، والحقيقة أن بطل القصة لا يقل سعادة وحبورًا بالطبيعة وعوالمها ولا خيالا عن الرومانسيين وسعادتهم وخيالاتهم .

ثم يأخذه الخيال والروح معًا إلى الماضي البعيد بذكرياته ويمتد إلى المستقبل الحالم .

ولا يخلو الوصف هنا من شاعرية تتجلى في رصد العين القاصة لهذا المنظر الذي ترصده لغة شعرية واضحة ؛ فالأمواج – على سبيل الاستعارة – تداعب الرمال، والشمس تلقي خيوطها المشابهة للذهب وقت الأصيل ، والطبيعة تتجلى في أحسن حللها كعروسٍ مزدانةٍ بكل ما هو ساحر وجميل !!

وفي افتتاحية قصة (همس الشواطئ)(١٧) للقاصة أسماء الزرعوني تسرد على لسان بطلة القصة :

(البحر البحر هناك ستلقي كل همومها كما اعتادت دائما . جلست على الشاطئ سارحةً تنظر إلى الشمس تودع اليوم شيئًا فشيئًا وتختفي خلف الأفق. هل تستطيع هي أن تودع همومها ؟ النوارس ترفرف بأجنحتها قرب الشاطئ، والموج يهدأ ليستمع إلى أحاديث الذين يرتادون الشاطئ تحدق بعينيها نحو الأفق .بدأت الصور تتسلل إليها مع أشعة الشمس الباهتة ويشدها الحنين إلى ماضي الذكريات تطل عليها صورة الحبيب من بين انحناءات الموج . يتعالى الزبد الأبيض ، تظلل غلالة من الدموع في عينيها وتتوالى الصور . تذكرت لقاءهما ذلك اليوم عند الغروب)

لا يخفى ما ينطوي عليه المشهد من رومانسية تتجلى ملامحها في تعشق البحر والإسراع إليه ،مع متابعة للشمس وهي تودع النهار شيئًا فشيئًا خلف الأفق ، وتنهض النوارس محلقة بأجنحتها في الأفق ومن ثم تلقي للبحر بكل الهموم ، ثم هو موطن لقاء الأحبة ، ومن ثم تتخذ منه استراحة للروح ؛ حيث تنبعث الذكريات الماضية من أعماق الروح ، وتلك ملامح رومانسية واضحة .

والشعرية – هنا – تؤازر الوصف وتبعث فيه جمالية واضحة ؛ إذ البحر يتلقى البوح بالهموم ويدركها – على سبيل الاستعارة – والموج يهدأ وينصت إلى أحاديث من يرتاده ،على سبيل الاستعارة أيضا .

في قصة (زفاف إلى البحر)(١٨) للقاصة حوسنة الحوسني نجد القاصة تبدع في سبك حبكة القصة لتكون المفاجأة مأساوية لبطلتها ؛ إذ تتخذ من البحر ملاذًا بديلًا لحياة بطلتها حين ضاقت بها السبل من واقعها الذي فرض عليها الزواج ومفارقة بيتها التي تربّت فيه ، وترعرعت على غير رضى منها ، وفي الوقت الذي كان الأهل ينتظرون يوم زفافها قامت هي بزف نفسها إلى البحر ليطويها بين أحضانه بدلًا من حياة لا تشعر بقيمتها ؛ تقول – في مقطع مؤثر ونهاية مأساوية– ساردة موقف بطلتها هدى:

(يوم الزفاف وهدى تستعد لتَقبّلِ الوضع . أخذت العائلتان تستعدان للعرس المرتقب لكنها ظلت تجلس أمام النافذة ناظرةً إلى البحر .هاتف ينادي على أذنيها من بعيد .كأنه قادمٌ من أعماق البحر .تراءى لها قارب ذو شراع أبيض يتلألأ وسط البحر حيث نزلتْ النجوم ونسجت نفسها عليه. خرجت من البيت لم يلحظها أحد تقدمت فدخلت إليه بقوة خفية تدفعها من خلفها . توقف القمر يرقبها والنجوم انفتحت عيناها ونام قلبها غائبا عن الوعي وضاع العقل من إداركه.

طوى البحر هدى بين أحضانه ، وشيعت قناديله جثمانها الذي غسلته مياه ساكنة. بكى سكان البحر عليها حتى شعابه المرجانية بلونها الوردي)

الحلم هنا يتدخل في صناعة نهاية لا تقل في سوداويتها عن سوداوية الواقع نفسه، لكنه في نظر البطلة أهون من الواقع المراد لها رغمًا عنها.

وعلينا إدراك كيفية تشكّل الحلم إذ تنهض في تشكيله شعرية اللغة ؛ فالنجوم المتلألئة تتشكل – بوساطة الخيال والحلم– شراعًا أبيض متلألئا يشعّ من وسط البحر ليكون هو ثوب الزفاف البديل من زفاف على البر لا ترغب فيه !!

وحتى النهاية رغم مأساويتها فلقد تجاوبت معها شعريةٌ للغة لا تخطئها العين ؛ فالبحر يطوي (هدى) بين أحضانه على سبيل التصوير الاستعاري ، وقيمته التعبيرية تتجلى في الحرمان الذي تعيشه البطلة من يد حانية تشعرها بالحب والدفء فيقوم البحر – هنا– ليكون بديلًا في احتضانها بيديه–على الاستعارة– حين لم تجد يدا حانية وحاضنة لها ، ثم

تمتد الاستعارة لتهيئ عالمًا بديلًا يتولى هو ذرف الدموع والتشييع والحزن حين غاب إحساس أقرب الناس إليها بها ، وعن طريق الأداة الاستعارية نفسها ؛ حيث قناديل البحر شيّعت جثمانها بعد أن غسلته بمياه ساكنة ، وبكاها بعد ذلك سكان البحر بما فيهم شعبه المرجانية بلونها الوردي!!

الواقع والحلم :

يبدو الحلم والسبح في فلك الخيال تعويذة الرومانسيين التي يلجؤون إليها كلما اشتدّ بواقعهم القبح والسوء ، وكلما شعروا بالضيق منه وبالتبرم به ، وحين نطالع أنموذجات من القصة القصيرة عند مبدعي الإمارات ومبدعاتها سنجد الحلم ماثلًا فيها ؛ وليس المقصود هنا ذلك الحلم أو الخيال بوصفه سمة أساسية في كل قصّ وإنما – للإيضاح- نرى بأن المقصود بالحلم أو الخيال هنا هو ذلك الذي يرتبط برومانسية لها أثرها في عالم الروح ،وليس الخيال بعمومه وشموله .

في قصة فاطمة السويدي الموسومة بـ(ثمة صوت) نجدها تهيئ لبطلة القصة فضاءً حرًا من الحلم والذكريات ؛ ففي الماضي البعيد ، أيام الطفولة بالذات ، كانت الأسرة تحتفي بالأبناء الصغار ، وهم يحققون نجاحهم وتفوقهم في مراحل الدراسة الأولى، وتشعل حولهم الشموع وتمتلئ المنازل بالمسرات ، ويعيش الأطفال فرحةً تملأ نفوسهم ، وقد أحيطوا بألوان من الهدايا والهبات .

وتعقد القاصة المقارنة – على لسان بطلتها- بين أطوار لبطلتها التي باتت الآن – وقد كبرت- وحيدة إلاّ من بعض الأصدقاء فتشعل الشموع وتوشك أن تنطفئ مع خلو صارخ للمهنئين ،فلم يعد هناك حضور أو اهتمام لا للأب ولا الأم اللذين زجّت بهما صعوبات الحياة المعاصرة ومشكلاتها المتمثلة في الكدح وراء الحياة وملاحقة العيش وسط مدنية صاخبة لم تعد تُلقي بالًا واهتماما بالعواطف ثم تتألم لكل ذلك وتصحو على واقع غير واقع ذلك الماضي الذي جسده الحلم والذكريات.

إن رومانسية المشاهد المسرودة تتبدى من ذلك الحنين إلى الماضي حين تمتلئ النفس بدفء مشاعر الأسرة المحيطة والأصدقاء والاستعانة به على سوداوية الواقع ، وتغيّر الكثير من ملامح العواطف الإنسانية الدافئة التي نحتاجها في عصر زحفت فيه المادة ، وطغت بخشونتها على الروح ؛ تسرد في قصتها (ثمة صوت)(١٩) في مشهد الذكريات للأب:

(فتدفقتْ الذكرى عارمةً كضوء أشعل المكان . انبعث وجهه مثل ريحانةٍ من بعيد يدخل البهجة إلى أعماقي. كلما احتوى البيت ابتسامته وكلماته الحنونة المحفورة في ذاكرتي الطفلة كما الكتب الجميلة المصورة.

تمتد يداه المفعمتان بالحياة والعنفوان لتحملاني فوق سماء عالية من الأحلام عندما كنت صغيرة .أنتظر أوبته من عمله عند الظهيرة . وكلماته الحلوة لا زالت عالقة بمسمعي كما المطر)

وتتوالى في مشهدٍ آخر في القصة نفسها بما يعمّق الفرحة ، ويبعث على البسمة ونشوة الذكريات حين نجحت في الثانوية ويعود الأب بالمفاجأة :

(يفتح يده مثل بوابة سمسم التي نحلم بها ونحن صغار فيطل صندوق أحمر صغير ، فيشرق قلب شمسي يطوق به عنقي في سلسلة ذهبية ، فأضج فرحة كما الأطفال أتعلق به يقبلني على جبيني ويهمس بحنو :مبارك يا صغيرتي)

الذكريات الحالمة هنا تنتشل بطلة القصة من واقعها المختلف عن الماضي؛ فتسبح في الذكريات التي تنعكس على الواقع بألم لكونها ذكريات هاربة ،ولم يبق إلا أثرها المقاوم للواقع وقسوته ، فالآن – وهو واقع البطلة – تُشعل الشموع وتتهادى بهدوء نحو الانطفاء ، ولا وجود للأم التي مازالت في الخارج ، ولا للأب البعيد خارج البلاد ، مما يعكس حزنًا يملأ النفس ويعتصرها ، ولم يخفف منه سوى ذلك التحليق نحو ذكريات تحتفظ بها البطلة في زوايا بعيدة في النفس ، تصور المشهد المجسد للحاضر/ الآن :

(عُدت إلى صورته المعلقة ثانيةً .رأيت ضوءًا ساطعًا يطل من العينين. جلست أرقبهما . والشموع تهتز شعلتها قليلًا قليلًا ،وكأنها في حالة نعاس ،وأمي لا زالت بالخارج والساعة تقترب من الحادية عشرة ليلًا ، وأبي في دورة عسكرية خارج البلاد. هل أطفئ الشموع؟)

عاشت البطلة هروبًا مؤقتًا من الواقع إلى عالم الماضي وذكرياته

عساها أن تنتصر به على واقعها الذي بات حزينًا ومؤلمًا ، ومابين شعورها بقسوة الحاضر وروعة الحلم المزوج بشذى الذكريات ، وقد سافر مع الذاكرة وامتد في لحظات استرخاء إلى ذلك الماضي يحصد منه ملامحَ لعواطفَ إنسانية كانت تملأ النفس بالدفء ، وهاهو الحاضر قد أعقبها يبابا ، مابين هذا وذاك وتقاذف الروح بين ضفتيه تتجلى ملامح رومانسية عذبة !!.

وفي الوقت ذاته تتجلى شعريةٌ لاتخطئها العين ، فالقاصة هنا تمتلك روحًا شاعريةً وإحاطةً بصوغ تشكيلات لجمل وعبارات تأخذ عالمها من الشعر وميدانه الفسيح ، وتؤتي ثمارها في القصة بنجاح ،كما تترك أثرًا ملموسًا ؛ فالذكرى – كما وصفها المشهد - تدفّقت عارمة كضوء أشعل المكان وهذه صورة شعرية تشبيهية جسدت مدى تدافع الذكرى ، وهي تملأ النفس وما حولها كالضوء الذي يشع بنوره فيملأ المكان ويبدد الظلام ،والأب ينبعث في الذاكرة طيب الرائحة كريحانة تملأ النفس عبقًا ، وهذه أيضا – كسابقتها- صورة أخرى، والتعبير بقولها: (تمتد يداه المفعمتان بالحياة والعنفوان لتحملاني فوق سماء عالية من الأحلام) تصوير بديع لمشهد الأب ، وهو يحمل ابنته الصغيرة فوق ذراعين وقد مدهما إلى الأعلى وحلق بها بينهما !! جمالية اللغة هنا تتبدى في نقل المشهد ، وما يرافقه من حبور الطفولة وقهقهاتها . ولا يخلو تعبيرها (فيشرق قلب شمسي) من جمال محقق ومجسد للسعادة المنبعثة المتفائلة بقوة من القلب ، حين ربطت السعادة والفرحة والتفاؤل بإشراقة شمس قلبها أو قلب شمسها !!

وتبدو صورة الأب وكلماته الوديعة وابتسامته – كما تصورها - محفورة في الذاكرة كما الكتب الجميلة التي تتسلسل فيها صورٌ ملونةٌ ومحفوظة.

وبالمقابل فلقد أبدعت في تصوير الواقع البائس الخالي من الفرحة بصور بائسة حزينة ؛ حيث بدت الشمعة ، وقد أحاطَ بها الظلام والبؤس في حفلة تفتقر إلى الأهل ، وتفتقر إلى الفرحة ؛ كما صورتها بعباراتها: (والشموع تهتز شعلتها قليلًا قليلًا وكأنها في حالة نعاس) وكان السؤال الأخير حمّالًا لطاقة مشحونة بكل معاني اليأس والقهر والوجع (هل أطفئ الشموع؟؟).

رفض الواقع و الهروب منه :

لاشك أن الهروب من الواقع أو رفضه والجنوح إلى عالم الخيال أو عالم الماضي حيث الذكريات وحيث الطفولة البريئة كلها ملامح هام بها الرومانسيون وعاشوها فكرًا وخيالًا ، ونسجوا خلالها عوالمهم التواقة إلى الانفلات من واقعهم الذي بات مرفوضًا عندهم .

في قصة (الرحيل)(٢٠) للقاصة شيخة الناخي نجدها تقدم هذا الرفض المبطن بالنقد لواقع لم يعد ينطوي على أية فرحة أو سعادة ، فتسرد وعيناها ترصدان بطلة قصتها علياء :

(الحياة سفينة تعوم فوق بحر غامض عجيب لا أمان له ...وتكمل الحياة خطاها على هذا المنوال بصورها الحلوة الجميلة والمرة القاسية تتهادى في مسيرتها ..تشق الطريق بكاهلها الثقيل المحمل بهموم أنفاس حائرة قُدّر لها أن تُوجد في مجتمع تكالبت عليه صنوف المادة ، وأغوته مظاهرها الخداعة فجرفت أفراده إلى هاوية الشقاء والتعاسة ، ولم تعد هناك فرحة ولا بسمة ...

وكانت علياء من بين تلك الأنفاس الحائرة وُجِدت وخُلقت لتعيش بين رحابة طفلة تداعب أفكارها أحلام طفولة بريئة ....ومرت السنون ...ووعت ما يجري حولها أي حياة ستحياها ؟ فمجتمعها قاس وعنيد لا يقيم وزنا للفتاة . إذًا فهي لا تملك من أمر حياتها سوى الأحلام والأوهام ولكن هل يقدر لهذه النفس البريئة المتفتحة للحياة أن تخمد وتخبو آمالها ؟ هل يحطمها كما حطّم الكثيرات أمثالها؟)

تتجلى رومانسية القص هنا في كون بطلة القصة تعيش على البراءة والحلم وتذهب بها الأحلام بعيدا ، ولكنها تصطدم بواقع كما رصدته لها عين القاصة، وهي تراقب بطلتها من بعيد ، فهي – وبصورة العالم بكل شيء- تضع تساؤلات لأية حياة ستحياها البطلة؟ لأن الواقع قاس وعنيد ، وتتساءل : هل سيحطمها كما حطم الكثيرات؟؟ وتمضي البطلة – كما رسمت لها القاصة – لكنها تقع فريسة واقع قاس بل شديد القسوة ؛إذ تقع الفتاة البطلة في الحب ولكن النتيجة تنتهي بترك الحبيب لها ، وقد ترك رسالةً تدل على عزمه مفارقتها والرحيل عنها !!

القصة تشكل في فحواها رفضا صارخًا لواقع عاشته البطلة لا يعتد بإنسانية المرأة ، ولا بعواطفها فهو واقع مادي يغوي الجميع ويجرفهم خلف فتنة المادة كما هو منطوق القصة نفسها ، لكن وسيلتها هنا في الرفض كان المأساة وذلك ما يتساوى مع مشاعر الرومانسيين السلبية تجاه رفضهم لواقعهم .وتمثل بذلك فحوى الرغبة والحلم بواقع أفضل من هذا الواقع الذي بدت البطلة متبرمةً به !!

لا نعدم هنا أيضًا من أن نجد شعرية اللغة ؛ حيث الحياة – على الاستعارة – تعوم فوق بحر ، والبحر –أيضا- غامض ، والشقاء والتعاسة لهما هاوية عميقة كما تتجلى في الطبيعة ،على الاستعارة أيضا.

وفي قصة (أمواج متكسرة)(٢١) للقاص عبد الرضا السجواني يخيم على بطل القصة واقعٌ عاثرٌ كئيب تتابع اللغة في رصد ملامح سوداويته ، ومدى الضيق المسيطر على البطل حياله ؛ يسرد وعيناه ترقبان البطل ونفسيته:

(سحابة سوداء من الكآبة تطغى على واقعه العاثر ، وحيرة ذات هجير يتلظى في تسعر بغيض على رأسه، وكالمدوغ يبرم مساء يجرجر دقائق الخيبة وراءه . أخذته قدماه أو هو استحثهما على المسير تاركًا باب البيت مفتوحًا على مصراعيه مبعثر الخطى يرمي بصره الساهم . تهيم أفكاره في كل وادٍ سحيق . يفترش العذاب بالضياع في أبسطتها الشاسعة)

ويمضي السرد مؤكدًا حياة عاثرة يعيشها البطل ، وقد سَرَقت معه فيها كل حلم وكل أمنية، ولا أمل يلوح في الأفق ينتشله من واقعه الذي ضاق به وتبرم سوى بضع حلم أنهى به القصة ، حين رمى بشبكته البحر ،الذي أحبه منذ زمن الطفولة ، وشعر بثقل واتساع لدائرة الشبكة ، فظنت نفسه المقهورة من واقعها أن القدر قد وهبه عوضًا عن يأسه وعذابه بعروس هي عروس البحر حيث حين سمعه الصبي المرافق له هناك يتمتم مستبشرا بتحقق الحلم فسأله ماهي؟ (رد في ثقة غير متزعزعة من نفسه: إنها عروسي عروس البحر !) وكانت هذه هي آخر جملة انتهت بها القصة

إن القصة هنا تنجح في الإيغال في تقديم وصف سوداوي لواقع كئيب يرفضه المبدع على لسان البطل ، ويحلم لو أن يتغير رأسًا على عقب ، ولعل الإحساس بكآبة الواقع المعاصر هو شعور عام ، ولذلك فالتجربة هنا تتخذ طابعها الشمولي ، ويكون القاص الإماراتي مسهمًا في الضرب على وتر حسّاس يعيشه إنسان العصر عامةً رافضًا فيه القهر الحياتي المعاصر الذي يعيشه ؛إذ ما أكثر هموم العصر !!

ولكن الطابع هنا هو طابع رومانسي حيث يتجلى جنوح المبدع إلى ترك الواقع بسوداويته وكآبته ، ويسعى إلى البحث عن عالم آخر ، ويكون البحر هو المدخل المناسب للبحث عن تحقيق حلم تتمناه النفس ، وقد اشتد ضيقها وتبرّمها بالواقع الكئيب.

اللغة هنا قدمت الواقع بشعرية لا تخفى ؛ فالكآبة تتماهى استعاريا مع سحبٍ كثيفةٍ تطغى على عالم بطل القصة ، والحيرة تتماهى مع الشمس استعاريًا فتصبح ذات هجيرٍ يلفح رأس البطل ، والعذاب والضياع يتماهيان مع الفراش ليكونا هما بساطه الذي يتقلب فيه ليلًا ونهارًا ، وهنا نلحظ شدة التبرم بحياة صارت عذابا وألما شديدين يتقلب بينهما بطل القصة.

وتتضح نغمة الرفض لواقع أكبر من الواقع المحلي لدى القاصة سعاد العريمي في قصتها (طفول)(٢٢) فتتماهى مع بطلة القصة حين تسرد:

(جرائد الصباح تصفعني كل يوم بأخبار الدمار المستشري في هذا الكون فأكتئب أنا وتغادرني البهجة في كل صباح .. أي صباحاتٍ هذه التي تبلد الأحاسيس الندية ، وتقطع آمالنا بشفراتها الحادة .

في كل صباح تلفني ظلمة مجنونة وأفتش بجهد في زوايا القاتمة عن نقطةٍ مضيئة ، وأراني أتوغل في عمق طفولتي ....أو طفول ....أي زمنٍ هذا الذي يقذف بنا بعيدًا ؟وأي رمالٍ متحركة هذه التي تبتلع الجذور كلَ الجذور)

فالواقع – الواقع الكوني عموما- يشكل رفضًا صارخًا من لدن بطلة القصة ؛ إذ صارت مهمة الصحف اليومية تكدير النفوس منذ الصباح بما تحمله في طياتها من أخبار الحرب والدمار الذي يطال العالم كله ، ولاشك أن رفض هذا الواقع يعني الحلم بمستقبل يضع فيه العالم أسلحة الفتك والقتل ، ويصيرون إلى السلام والأمان الهاربين من الكون الآن إلاّ في أماكن قليلةٍ منه،وقد قارنت البطلة بين ماضي

الصحف وهي تطالع بالأخبار السارة وأخبار اليوم ، وهي لا تسر قارئها.

لقد اتخذت القاصة من مقدمة الصحف و جهامة الواقع وقد طالعتها البطلة وتطالعها كل صباح سبيلًا للسبح بعد ذلك في مأساتها الخاصة لكنها لا تبعد عن مآسي العصر وسواد واقع معاصرٍ لا يطاق لكثرة همومه وأحداثه !!

شعرية اللغة تنهض هنا من تعبيرات حملت الهم والقبح ؛ فالصباحات تتحول في هذه الصحف إلى شفرات حادة قاتلة تقطع قلوب القراء وآمالهم ، وهم يتابعون الدماء والجثث والخراب والدمار، على سبيل الاستعارة !!

العلاقات ورومانسيتها (الحب وطقوسه) :

لانعدم أن نجد للعواطف في القصة الإماراتية القصيرة مسرحًا واسعًا ؛ فالحب والعلاقات الحميمة وما يترتب على ذلك من عذابات والآم وأحيانًا مسرات من ضمن الموضوعات المهمة التي شغلت مخيلة القاص الإماراتي والقاصة الإماراتية عموما .

ولكن ما أردته برومانسية الحب هنا هو الاقتصار على لوحات في القصة الإماراتية القصيرة تتجلى فيها رومانسية عذبة في العلاقات والعواطف الإنسانية تجاه هذه التجربة الإنسانية الأصيلة ، تجربة الحب الأزلية وطقوسها!!

في قصة (صفحات من الذاكرة) (٢٣) للقاص عمر عبد الرحمن سيف تتجلى الرومانسية متلاحمة مع العشق في حوارات عاشقين وأجواء المكان الحالمة ؛ حيث يقف العاشق على ضفة من ضفاف نهر متخيل ، ويتبادلان حلوَ الكلام؛ نجده يسرد ذلك بلغة رومانسية وبروح رومانسي عذب: (اليوم ربيعي والدنيا في ألق ساحرٍ ، وعلى كتف نهرٍ رقراق جلسا معًا رجلٌ وامرأة .

قالت: يا شاعري ما تزال لك في القلب كل المواسم فلا تنه قصيدتك.

قال: يا طفلتي لا تأمري الشعراء .فلكل قصيدة نهاية .

قالت: إلا قصيدتي اجعلها قمرًا غير مكتمل يوحي للمحبين باستمرار دنياهم)

اقتطفتُ الحوار من مجمل القصة للدلالة على جوهر رومانسيته ؛ فالحديث يتخذ مسارًا شاعريًا ، وقد كان لشعرية اللغة الدور الأكبر في تجسيد لحظات البوح ، وتبدو العاشقة أكثر رومانسية من العاشق فهي التي تهب قصائده سرّ حيويتها وكينونتها ، وبدونها ستذبل (لك في القلب كل المواسم)، وهي التي تود منه أن يجعل قصيدته قمرا غير مكتمل ليكون ذلك إيحاء باستمرار قصص المحبين واستمرار عشقهم دونما انقطاع(إلا قصيدتي اجعلها قمرا غير مكتمل يوحي للمحبين باستمرار دنياهم)!!

إنها حاورت عاشقها بلغته الشعرية نفسها وإن حاول هو الفرار فذلك كان مقصودًا ومحكومًا بمنطق القصة عموما لكونه صار ذكرى من الذكريات لكن ما يهمنا هنا على الأقل هو هذه اللوحة المقتطفة التي ذكرت.

إن اختيار المكان (النهر) واختيار الزمان (الربيع) ولقاء العاشقين على ضفته ، يتبادلان هذا الحوار ويسبحان مع جمالية اللغة وسحرها في تجسيد البوح بما يشعران به في خلدهما في لحظات كهذه ، كل هذا يعج برومانسية عذبة لاتخفى أسرارها على القارىء المتابع.

وفي قصة (ليلة عرس)(٢٤) للقاصة شيخة الناجي تبدع القاصة في استدعاء اللغة الواصفة بكل جمالياتها لتصور طقوس ليلة عرس ،في قاعة أُوتيت من الجمال كل شيء، فتقف عين القاصة التي تظهر من خلال بطلة القصة وتشهد الأحداث عند حدود لوحة غرائبية للمكان الذي تقبل منه العروس ، ولذلك المكان الذي تتربع فيه بوصفها ملكةً كما لو كانت تحكي فصولًا من ألف ليلة وليلة ، وتقف عند تلك الزينة وذلك الحلي اللذين يسحران من ينظر إليها فيهما ، ثم حركة الخادمات الدؤوبة في القاعة ، وهن ينشرن الأنس بنشر البخور والورود وعبارات الترحيب ، وتقديم الخدمة وبعث المتعة في نفوس الحاضرات ، ومن ثم تصدح فنانة العرس بأنغامها في جو رومانسي بديع تسطّر اللغة رسومه البديعة في لوحة عجيبة ؛ تسرد :

(العروس القادمة تتهادى في مشيتها كأميرة متوجة تعتلي عرش مملكتها بثوبها الأبيض الجميل ، وعقدها الماسي وتاج طرحتها الموشي بالأحجار المبهرة. تفحصت العيون المرسلة في فضول العروس وفستان عرسها وعقدها ووجهها وحركاتها

. مشيتها وباقة الورد في يدها. ابتسامتها. ثغرها. زينتها. عطرها. نقش الحناء. حذاؤها. ويرتفع صراخ مطربة الحفل مرة ثانية . تُزف العروس إلى منصة التتويج التي تحولت بفعل صانعها إلى لوحة آسرة من بذخ طاغ تمثل بوابة قلعة جميلة حوّلت الليلَ الحزين إلى حكايات زهت بأنوار عرس بهيج..... حاملة الطيب والعود تقطّع ثرثرة النسوة بوجهها المرحب وثوبها الخليجي المطرز بـ (التلي) وقد زادته (مريتها)الذهبية بريقًا تمازج مع أضواء الثريات المتلألئة ، وعبق رائحة العود تعطر المكان برومانسية حالمة)

إن عين القاصة وهي تتابع باللغة – عبر بطلة القصة – وصف ليلة عرس تقدم للقارئ الطقوس المرافقة للاحتفاء بهذه الليلة قبل أن تزف العروس إلى عريسها ، بكل تجلياتها ، واستطاعت باللغة أن تنقل اللوحة كاملةً ،وعلى الرغم مما قد يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يتابع تفصيلات اللوحة المرسومة بدقة أو المشهد المتحرك من بذخ مبالغ فيه يطال المكان وهيئة العروس إلا أن ما يغلب على هذا الإحساس هو الشعور بأناقة فذة تتجلى فيها رومانسية عذبة سحرت الإنسان الخليجي وجعلته يفيد من معطيات العصر الأنيقة في كل شيء ، وتوظيف ذلك في خدمة روحه الشرقية الحالمة الأنيقة ، فبدت ليالي العرس لوحات ساحرةً أنيقةً يغرق الراءون ويسحرون في دهاليز جمالياتها الساحرة.

وفي الوقت الذي سلمتْ فيه المرأة العربية الإماراتية شؤون خدمة المنزل وشؤون البيت للعاملة الأجنبية اتجهت هي للتفرغ لرومانسيتها العربية العذبة مع شريكها ، وآثرت أن تجعل مستجدات العصر في خدمة شرقيتها !!

وفي (غرفة القياس) (٢٥) للقاصة عائشة الكعبي نجدها تبدع أيما إبداع في الكشف عن تأنق المرأة الإماراتية عبر بطلات قصتها المتنوعات ، وهن يخترن ألوانا من الملبس ليس فقط لترضي رغبتها كأنثى في التأنق والتزين ، ولكن أيضا لإرضاء الشريك بانتقاء اللبس الأكثر سحرا وفتنة والأكثر رومانسية.

ففي غرفة القياس (تدخل سيدة أربعينية تلفها هالة من الأناقة الصارخة والزينة المبالغ فيها تتبعها فتاة لم تبلغ العشرين بعد قد خلا وجهها وزيها من أي لون قد يشد الناظر إليها . تغلق الأخيرة الباب فيما انهمكت الأولى بتفحص زينتها في المرآة ...وبعناية تناولت السيدة البنطلون الوردي المطرز والقميص الأبيض الشفاف «ذو الحروف الوردية المبعثرة عليه» وارتدته وهي تدندن بلحن سعيد.. رمقت نفسها في المرآة بنظرات إعجاب ورضا)

ويدور حوار بين السيدة الأم وبنتها ، وتحاول البنت أن تقلل من رغبة أمها في ارتداء ملابس تتناسب والعمر الذي وصلته لكنها تتجاهلها تماما ؛ فالأناقة والدلال طبع فيها ، وهذا كشف لما رأيناه من رومانسية عذبة تتجلى في الرقة والأناقة في اللبس والطبع والاعتياد عليهما !!

تسرد : (تدفع الباب يدٌ مترددةٌ تريد أن تطمئن لخلو الغرفة ..تدخل شابة ممتلئة قصيرة القامة لا يخلو وجهها من مسحة جمال ..تتأكد أنها قد أوصدت الباب خلفها بإحكام ..تميل بوجهها نحو المرآة ، وتلقي نظرة فاحصة على الهالات الداكنة الراكدة تحت عينيها والتي حاولت جاهدةً إخفاءها بطبقات من أصباغ الزينة.. تمط شفتيها باستياء.....تمسك بالبنطلون الجينز الذي تود تجربته ... نظرة في المرآة ..استدارة لليمين ثم استدارة لليسار..ابتسامة رضا: «هذا الذي بيجيب رأسه ولا حد يقدر يخلي ها لجمال»)

إن ما نكبره في صنيع القاصة هنا أنها استطاعت بالخيال واللغة أن ترصد و تنقل إلينا ما يدور في خلد المرأة في غرفة القياس الصغيرة في محل تجاري ، وكما لو كانت معها ترى وتشاهد وتنقل ، لكأنها عين مسلطة ومثبتة داخل غرفة القياس تراقب كل فتاة أو سيدة تدخل الغرفة وتُبدي حركات لها أمام المرآة وتتمتم بعبارات رضا أو عبارات ساخرة أو تكتفي بحركات معبرة.

العجيب جدًا أن القاصة استوعبت بهذه القصة القصيرة عالم النساء وفكرهن مع اختلاف أعمارهن لتجعل من قصتها القصيرة مساحة شاسعة تحوي فيه عالم المرأة باختلاف أطوارها وتشعب رغباتها وتنوع أفكارها.

وتنهض اللغة بشعرية فذة لرسم الأفكار والمكان والرغبات ، وفي كل لا تخلو مع شعريتها من بث رومانسية لا تخطئها العين المتابعة ؛ فالبحث عن الأناقة والزينة والطموح بالظهور بأحسن الهيئات ، والعمل على سحر

الشريك وجذبه ينم كل ذلك عن روح سامية تعيش عالم الصفاء والحلمً والرقةً ، وتترك وراءها مكدرات الواقع وسوداويته.

الخاتمة :

إن ما يمكننا رصده هنا – بعد هذه الرحلة الممتعة مع القصة الإماراتية القصيرة ، ومن خلال عرضنا لأنموذجات منها في قراءة لرومانسيتها وشعريتها - يتجلى في الآتيً :

١- أن القصة الإماراتية القصيرة في سبك عوالمها وحبكتها وروعة سردها لا تقل إبداعًا عن مثيلاتها في بلداننا العربية عامة.

٢- أن المرأة القاصة في الإمارات تشكل حضورا لافتا في إبداع فن القصة القصيرة وبما يفوق الرجل المبدع في كثير من الحالات.

٣- أن الرومانسية ملمح مهم بدا في كثيرٍ من القصص الإماراتية القصيرة وقد تجلى ذلك في النقاط التي توقف البحث متأملا لها على نحو : البحر والحلم الواقع الحلم ،رفض الواقع والهروب منه ،وما تخلل ذلك من ذكريات الماضي ، والجنوح إلى الخيال ، ثم رومانسية الحب وطقوسه.

٤- أن التمكن من اللغة ووسائلها الشعرية كانت حاضرة في إبداع المبدع الإماراتي والمبدعة الإماراتية مما يكشف عن إحاطة واسعة بشعرية اللغة ، والتمكن من بثّها في عوالم السرد ، وبما لا يتعارض مع متطلبات السرد نفسه.

٥- أن المبدع الإماراتي والمبدعة الإماراتية يتسمان بروح رومانسية عذبة على الرغم من توغل الحياة من حولهما نحو ماديتها .بل لم تستطع المادة وتطور الحياة المعاصرة من ثني خيالهم المحلقة في آفاق واسعة رحبة تتجلى فيها الكثير من القيم المغروسة في الفكر.

٦- أن القصة الإماراتية القصيرة تجاوزت-في بعض الأحيان- محليتها لتعبّر عن هموم العصر والحياة بشكل عام.

الهوامش

١ الرومانتيكية ،د.محمد غنيمي هلال،نهضة مصر-القاهرة ،٢٠٠٣م ص٢٤

٢ السابق: ص ٢٤

٣ ينظر: السابق ص٤٦

٤ السابق: ص٤٧

٥ السابق:ص ٦٤

٦ السابق: ص٦٧

٧ السابق: ص ١٦٨

٨ السابق:ص ١٥٣

٩ ينظر السابق ١٥٧ : ١٦٠

١٠ قضايا الشعرية ،رومان ياكبسون ،ترجمة:محمد الولي ومبارك حنوز،دار توبقال - المغرب ،ط:١ ،١٩٨٨م ص ٧٨

١١ السابق ٣٥

١٢ جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي،د.فايز الداية،دار الفكر ،دمشق ،ط:٢ ،١٩٩٦م ص٥٩

١٣ ينظر نشأة القصة القصيرة وتطورها:القصة القصيرة النسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة،دراسة موضوعية فنية،عائشة سيف ،٢٠٠٨م ص٣١ وما بعدها.

١٤ ينظر بقية الأسماء مثلا كتاب: مبدعون من الإمارات-القصة القصيرة ، نشر وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة،ط :١ ،٢٠٠٩ وينظر:مدخل إلى القصة القصيرة الإماراتية دراسة:د.الرشيد أبو شعير،اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط: ١ ،١٩٨٨م ص١٥ حيث تم الترتيب لها هنا وفقا لما ورد عنده حتى رقم ١٩ منها.

١٥ للمزيد حول تفصيلات هذه القضايا عامة ينظر :القصة القصيرة النسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة موضوعية فنية ص ٥٤ وما بعدها في (الفصل الثاني)

١٦ مبدعون من الإمارات: ص ٣٥٠

١٧ السابق: ص ١٨

١٨ السابق: ص ١٠٣

١٩ القصة كاملة في كتاب: مبدعون من الإمارات-القصة القصيرة ص٣٧٢

٢٠ السابق: ص ١٩٢

٢١ السابق: ص ٢٧٣

٢٢ السابق: ص ١٤٨

٢٣ السابق: ص ٣٦٤

٢٤ السابق: ص ١٩٤

٢٥ السابق: ص ٢٣٨

المصادر والمراجع

١- جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، د.فايز الداية، دار الفكر ، دمشق ، ط:٢ ، ١٩٩٦م

٢- الرومانتيكية ، د.محمد غنيمي هلال، نهضة مصر-القاهرة ، ٢٠٠٣م

٣- القصة القصيرة النسائية في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة موضوعية فنية، عائشة سيف ، ٢٠٠٨م

٤- قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون ، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال - المغرب ، ط:١ ، ١٩٨٨م

٥- مبدعون من الإمارات-القصة القصيرة ، نشر وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ٢٠٠٩ م

٦- مدخل إلى القصة القصيرة الإماراتية دراسة: د.الرشيد أبو شعير، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط:١ ، ١٩٨٨ م